للأعمال الدرامية دور في تنمية الخيال وتقديم مضمون هادف ومفيد

الدراما منتج قادر على إحداث تغيير في المجتمع والارتقاء به ثقافياً ومعرفياً وتربوياً وفنياً

| وائل العدس

بمرور الوقت وإلى جانب التطورات التكنولوجية الهائلة ما زال التلفزيون يحتفظ بمكانة كبيرة في كثير من البيوت لما يرتبط به من مشاعر كالألفة والراحة والتخلص من التوتر وأعباء اليوم واجتماع أفراد الأسرة.

وتكتسب الدراما أهمية كبيرة في مجتمعاتنا على اعتبار أنها المرآة التي نرى من خلالها تفاصيل حياتنا وحياة الآخرين، إضافة إلى دورها في الترفيه، أما الهدف الأكبر فيكمن في عكس الواقع الذي نعيشه.

فالدراما هي الفن الذي يعتمد على تجسيد ومحاكاة الواقع ضمن مساحات فنية، وكلمة دراما هي بالأصل إغريقية وتعني التناقض أو العمل، لأن الدراما تجسد الحزن والفرح والمأساة والكوميديا والسخرية والحب وغير ذلك في عمل واحد.

ولا تنعزل الدراما التلفزيونية كفن عن بقية الفنون من حيث الدور الذي تلعبه في التوعية ولفت أنظار الجمهور إلى التفاصيل المهمة في الحياة ومحاولة محاكاة الواقع بأقرب الصور ورفد المشاهد بكل ما هو جديد على الصعيد الاجتماعي والفكري، لذا فهي كفن تقف إلى جانب موارد الثقافة المتعددة مثل الكتاب والسينما والمسرح وغيرها كجزء لا يتجزأ من الرسالة الإعلامية اليومية التي تسعى إلى تثقيف المواطن إضافة إلى ترفيهه.

وتكمن وظيفة الدراما في تسليط الضوء على واقع المجتمع بإيجابياته وسلبياته على أن تكون معالجة بطريقة صحيحة لكي تدخل إلى قلوب الناس ويكون تأثيرها إيجابياً، لكن بالنهاية لا تستطيع الدراما أن تغير المجتمع، وإنما الواقعان الاقتصادي والاجتماعي هما اللذان يقومان بإحداث تغييرات جذرية فيه.

إلا أن الإنتاج التلفزيوني في كثير من الأحيان بل في أغلبه يسعى إلى تحقيق الربح، وتحقيق الأرباح يتخذ مساراً مختلفاً ربما عن تحقيق القيمة، وهذا ما أكدته الدراسات التي قامت على تحليل الصور الذهنية المقدمة من خلال الدراما العربية على وجه التحديد، فتحقيق الربح والمنافسة قد يجعل البعض يؤمن بفكرة تقديم ما يحقق رواجاً بين الجمهور بغض النظر عن أي اعتبارات أخلاقية أخرى.

الدراما السورية

الدراما السورية منتج وطني قادر على إحداث تغيير في المجتمع والارتقاء به ثقافياً ومعرفياً وتربوياً وفنياً.

لذلك على الإنتاجات الدرامية السورية أن تخص العائلة بكاملها من الطفل إلى الكبير، حيث إن المسلسلات تلعب دوراً في لم شمل العائلة في أوقات واحدة أمام التلفاز لتلقي هذه الوجبة الفنية فيقضي الجميع وقتاً سعيداً للتسلية والترفيه والاستفادة مما تقدمه من عبر وقيم، حيث تسهم في توعية أفراد الأسرة ككل وخاصة الناشئين لكونها تتطرق إلى قضاياهم المتشعبة فضلاً عن جوانب أخرى كثيرة من صلب الواقع.

ومن الواجب استغلال الشعبية الكبيرة التي تنالها الدراما السورية في سبيل توجيه رسائل مفيدة للجمهور تسهم في ملء وقته بما هو إيجابي وممتع.

قضايا المجتمع

يميل كثيرون إلى الأعمال الاجتماعية لأنها تبدو قريبة جداً من الحياة اليومية وتحاكي نماذج إنسانية موجودة في المجتمع وأحداثاً تتعلق بالتفاصيل اليومية المعاشة، ما يقدم ذلك دوراً توعوياً للدراما ويصوغ من الواقع القصص التي لها وظيفة تفيد المشاهد وتملأ وقته بما هو جيد.

وللدراما دور في تسليط الضوء على قضايا المجتمع واقتراح الحلول المناسبة للمشكلات القائمة، مع التأكيد على أهمية الحالة التثقيفية التي تطرحها الدراما في ظل هيمنة وسائل الإعلام على الحياة.

كما أن الدراما تطلع الإنسان على أشياء لا يعرفها إذ إنها تسلط الضوء على ما هو مجهول لدى الكثيرين ما يسهم في التعليم والتثقيف، كما أن ما تقدمه المسلسلات السورية من قصص اجتماعية تحتوي على الحب والكره والجريمة والإحسان تسهم في توعية الناس ونشر القيم الأخلاقية والتحذير مما هو سلبي على مستوى الحياة بصورة عامة.

بهدف التسلية

في الوقت نفسه ليست كل الأعمال الدرامية متشابهة من حيث الهدف الذي تسعى إليه، حيث إن بعض الأعمال تقدم لأجل التسلية لا أكثر ولا ضير من متابعتها ولكن يجب أن تكون معظم الأعمال مستمدة من صلب حياتنا وواقعنا وتاريخنا وهي تؤثر فينا جميعاً.

وفي كثير من الأحيان ينظر الناس إلى الفن بشكل عام وإلى الدراما بشكل خاص، على اعتباره وسيلة للترفيه لا أكثر، علماً أن الدراسات النفسية تؤكد تخطي الدور الذي تقوم به الدراما إلى أبعد من ذلك بكثير؛ فهي في مجملها تقوم بإشباع حاجات مهمة للفرد.

وربما يفوق دور التسلية دور التوعية في الدراما فالإنسان الذي يقضي يومه في العمل لا بد له من مادة تلفزيونية تخفف عنه في آخر النهار وخاصة عندما يجتمع مع عائلته، كما أنه يفضل الأعمال التي تتناول موضوعات اجتماعية لكونها قريبة جداً من الحياة اليومية وتحاكي نماذج إنسانية موجودة في المجتمع وأحداثاً تتعلق بالتفاصيل اليومية المعيشة.

لكن الهدف من الدراما ليس الترفيه فقط، ويجب أن يكون للعمل الدرامي رسالة اجتماعية واضحة، حتى الكوميديا يجب أن تكون هادفة، فما قيمة أي عمل درامي أو كوميدي من دون هدف أو رسالة اجتماعية؟

فالدراما يجب أن تقوم بدور فعال في تصحيح المفاهيم والمساهمة في عرض القضايا الراهنة وتوضيح سبل العلاج من خلال مواقف حياتية اجتماعية، تخرج بالدراما من قوقعة التسلية والترفيه إلى رحاب التنمية والتطوير.

المادة مهمة جداً من أجل الاستمرار، ولكن الهدف الأول من تقديم أي عمل هو الإضاءة على بعض مشكلات وآفات المجتمع ونقل رسالة مباشرة أو غير مباشرة للمشاهدين ليأخذوا العبرة منها وينقلوها إلى الأجيال القادمة.

رغبات إنسانية

الشعور بالحب، بالانتقام، بالبطولة، بالانتصار.. كلها رغبات إنسانية يبحث الإنسان عنها خلال يومه، وتقوم الأعمال الدرامية بالتركيز على مثل هذه الرغبات فتقدمها للمتلقي من خلال المعايشة فيتلقاها المشاهد ويتفاعل معها ويشبع جزءاً من رغباته، كتلك البطلة التي تبحث عن حب حقيقي رغم أنها قبيحة ولا تجد من يعجب بها، ثم تدور أحداث المسلسل لتجد حبها الحقيقي الذي يبحث عن جوهرها النقي.

خطورة الدراما

لا ننكر ما يمكن أن تسهم به الأعمال الدرامية من تأثيرات إيجابية، وأهمها الجانب الثقافي والمعرفي ودورها في تنمية الخيال وتقديم مضمون إعلامي هادف ومفيد، لكن الخطورة أننا نجد أغلبية الدراما تقدم نماذج يعتبرها الصغار قدوة ومثلاً أعلى، وهي نماذج تجري وراء التقليد الغربي، والموضة والقيم السطحية أو الانحلالية، ولا يمكن إنكار أو حجب تأثيرها السلبي في الأطفال وتفادي ذلك بالجلوس معهم وإقناعهم بأنها مجرد تمثيل.

فالدراما نوع خطير من الغزو الفكري للشباب وللمجتمع بشكل عام، وتستطيع أن تؤثر في التفكير والسلوك والتعامل مع الآخرين، وعادة ما نرى أنها تنمي لدى الصغار والمراهقين غير الناضجين الرغبة الدائمة في الاستقلال والذاتية، بل تنشر مفاهيم مغلوطة عن الحرية والنجاح وكيفية مواجهة الضغوط والتعامل معها بما لا يتناسب وثقافة وقيم المجتمع.

وتعتمد بعض الأعمال التلفزيونية على لغة عامية، أو يشيع فيها ألفاظ سيئة وقبيحة وسطحية وهشة، والكتاب والمخرجون يقتبسون أحياناً بعض الأفكار الغربية ونجدها تنتشر بسرعة بين المراهقين والصبية ويستخدمونها في تعاملاتهم اليومية، ويتداولونها، وهي بلا شك نوع من الدعاية لنشر قيم معينة، فبالإضافة إلى سلبياتها نجد أنهم يتعلقون بالقشور والمظاهر في طريقة الملبس والمظهر وتقليد الأشياء البعيدة تماماً عن ديننا وقيمنا الأصيلة، كما يحاكون طريقة العنف التي تمتلئ بها هذه الأعمال.

> **الدراما تستطيع أن تؤثر في التفكير والسلوك والتعامل مع الآخرين**

المرأة السورية الوطنية

| إسماعيل مروة

مؤسسة المرأة السورية الوطنية، لامرأة سورية فاعلة مؤثرة وقيادية، شعار جميل ومعبر يعقد لقاؤه تحت شعار (من أجل بناء المرأة السورية). والذي يلفت الانتباه في رؤية المؤسسة للمرأة المؤثرة والقيادية.. أقف عند هذا اللقاء وعند هذه المؤسسة لما للمرأة من دور فاعل ومهم.. كثيرة هي الجمعيات والمؤسسات التي دعت إلى تفعيل دور المرأة، ولكن الظروف المحيطة، والنيات غير الناضجة جعلت تلك الدعوات غير فاعلة.. أما اليوم فالأمر مختلف للغاية، فإن كنا لا نجد صدقاً في الدعوة من قبل، فمن المفترض أن الأمر قد تغير، وإن كنا نجد في المجتمع من يحاول التشكيك بالمرأة ودورها من قبل، فإن مثل هذا الرأي صار مرفوضاً نهائياً في هذه المرحلة، لذلك عندما أرى الصديق هاني الخوري، وهو المعني بهذه الجمعيات من عام ٢٠٠١ يتابع نشاطه غير عابئ بالنقد والوقت الذي يخسره فإنني سأقف باحترام أمام إصراره على تفعيل دور المرأة، ومن قبل عمله من أجل النساء المعنفات والجانحات.. وإن كان العمل من أجل المعنفات سابقاً، فقد تحول المجتمع اليوم إلى مجتمع يحمل سمة العنف والتعنيف بصورة أكبر وأكثر خطراً وإيلاماً.

اليوم تغيرت النظرة، وتعددت الشخصيات، فالسيدة ريما العمري تدعو إلى أمر يتجاوز التعنيف مع بقية أعضاء المؤسسة، وقراءة الشعار وأهداف المؤسسة يظهر وعي المرحلة، فالمرأة لم تعد نصف مجتمع، ولم تعد مكملة لدور يقوده الرجل، بل نحن أمام واقع جديد، للمرأة فيه دور كبير، والقيادة غاية لأنها أثبتت انتماءها وجدارتها وقدرتها على تحمل أعباء الوطن والحرب، فالمرأة ليست معطاء فقط، فهي أم للشهيد وزوجة للشهيد، وأخت للشهيد، وكما حدثتني السيدة ريما الأمر لا يتعلق اليوم بالبحث عن فرصة للمرأة، ولا عن مساعدة لها، بل يتجاوز ذلك ليصل إلى قيادتها، وبيان دورها المؤثر والفاعل، وربما كان ذلك بواقع فرضته الظروف التي جاءت بها الحرب، فغادر من غادر وتهرب من تهرب، وعجز من عجز إلا المرأة.

المرأة التي عملت وأنجبت، وكلنا يعلم أن كثيرين يقفون في وجهها، وهم لا يملكون معرفتها وقدراتها، ولم يقدموا عطاءاتها الكبيرة.. إنها خطوة مهمة تحمل صفة المأسسة للمرأة ودورها الفاعل اجتماعياً وسياسياً وثقافياً، فلنقابل هذا الدور بالحب الحقيقي لعل المجتمع يصبح أكثر رحمة بالانغماس في روح المرأة ورحمتها.

فراشات الأمس وزهرات الياسمين... نساء من أمتي

نساء نفخر بهنّ لغة وسيرة وإبداعاً... في بحث يبقى أفق العمل مفتوحاً لإضافات لاحقة

| سوسن صيداوي

«إن تاريخ الحضارة العربية يحفل بشخصيات نسائية كان لها طاقاتها الإبداعية في عصور تعبق برائحة الازدهار واليقظة والتقدم. ولابد لنا من وضعهنّ في دائرة الضوء لأنهنّ نساء مميزات في مخزوننا الفكري والاجتماعي، ولابد من تسجيل دورهنّ الريادي للمرأة المعاصرة، وما مرّ من تجربتهنّ الفكرية من تطور ملحوظ لم يكن إلا نتيجة طبيعية لكفاح طويل خاضته المرأة العربية في عصور كانت الحياة فيها صعبة وجافة». الكلام يعود للمؤلفة سليمى محجوب في كتابها الجديد (فراشات الأمس وزهرات الياسمين... نساء من أمتي)، الصادر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب.

يتناول هذا الكتاب حياة عدد من الكاتبات العربيات قديماً وحديثاً، فيضيء جوانب من إبداعهن في الشعر والقصة والرواية، مبرزاً دورهن في إغناء دوحة الأدب العربي، والتعبير عن هموم المرأة وشواغلها، وواقع الأمة وطموحاتها، بأسلوب سهل، شائق، ممتع. يقع الكتاب في ٣٤٣ صفحة من القطع الكبير، وللمزيد نقف عند بعض النقاط.

في المحتوى

لقد بزغ نجم عدد من النساء اللواتي أبدعن في آفاق الأدب العربي، فملأن الأسماع باللحن الساحر كشاعرات، وبالصداح الآسر في القول والكتابة في مجالات النثر المتنوعة كالمقالة والقصة والرواية والدراسة والنقد وغيرها. فكنّ فراشات الماضي وزهرات ياسمين وجدان الأمة. وتتابع المؤلفة سليمى محجوب في بحثها «في كتابي هذا استضفت نساء عبّرن بحرية عن ذواتهن ومجتمعهن فكراً وأحاسيس، لم ينزوين في غرف مقفلة، ولم يغلقن أصواتهن بمفاتيح الأنوثة التي كانت تفرض على المرأة تقاليد عمياء، إنهن مبدعات سعين بثقة وكفاح عنيد كي يتبوأن موقعهن الطبيعي في دنيا الوجود، فحققن وجودهن الإنساني الخصيب، لقد ارتدين عبير القول والإبداع، بلا وجل ولا انكسار، فأتحفننا بكنوز مخبوءة بتفاصيل غنية عن حياتهن وعصرهن، ضمن عطاء فكري وأدبي.

من هنا جاءت دراستي في هذا الكتاب لأنصف أولئك النجوم المتناثرة على تلال التاريخ. وقد رأيت أن من حق تلك النساء من أمتي أن يقدمن إلى الأجيال العربية مهما تلاحقت زاهية في أصداء ذاكرتهم، تنير لهم عتمة الطريق، وقدرة اللغة العربية وديمومتها الرائعة على حفظ تراث مضى، وحاضر أتى، كي يحذو القادمون حذوهنّ، ويسيروا على مسارهنّ».

سلمى الحفار الكزبري

إبداع الفكرة

عن سبب البحث والانطلاق في تأليفه تشير الباحثة إلى أن السبب هو الإهمال في هذا الجانب بإبراز وضع المرأة العربية فكرياً بعيداً عن منطقة الظل التي وضعوها فيها، فتتابع «علينا ألا ننسى أن هناك عدداً من الأسماء النسائية التي تبوأت مكانة بارزة في كل عصر من عصور الحضارة العربية الإسلامية، وأثبتت وجودها في مجالات عديدة من حياتنا وتاريخنا الفكري والأدبي، فكنّ فراشات الماضي وزهرات الياسمين. في كل زاوية ومنعطف من الواقع والفكر، من التاريخ والحاضر، يفاجئنا حضور المرأة ولا يزال، هذا الحضور يسري في حياتنا مثل نسغ هو ترياق لهذا الوجود». وأيضاً تضيف في مكان آخر«بأن المرأة العربية استطاعت أن تدخل مساحات إنسانية خضراء مع الحياة، ومع خلجات النفس، في عالمها أسرار ومشاعر وأحاسيس، وإيحاءات تحمل إبداعها لتصبه في أشكال مختلفة من الحياة الاجتماعية والأدبية والنضالية، محملة بواقعها تارة وباغترابها أحياناً، وبأحلامها التي تأبى أن تضيع على أرصفة وشواطئ من دون أن تمدّها بخيال مجنح، وتصوغها بدلالات وإيحاءات تشع في فضاءات ذات أبعاد مختلفة. وقد كان الأدب نتاجاً اجتماعياً يستمد من جذوره مضيفاً إليها ما يقدمه كل مجتمع من إمكانات استكمال لما نقص ويصحح مسار الأمة ما يتناسب ومتطلبات التطور عبر مسيرة الزمن».

ما يتضمنه الكتاب

وعن المحتوى الذي سرق من المؤلفة سليمى محجوب كل وقتها وجهدها المبذولين إلى حين رأى النور، تحدثنا في مقدمة كتابها عما ضمه البحث من أسماء لشهيرات من النسوة برزن عبر مراحل التاريخ مثبتات فكراً نيّراً هادفاً، لتقول «بكل إعجاب استوقفتني أسماء شهيرات من أولئك النسوة اللواتي خلّدهن التاريخ. نسمع أصداء تتردد عن وجودهن ولكن لا يعرف هذا الجيل من أخبارهن وإبداعهن إلا النذر اليسير، وهذا ما دفعني لأن اقتحم محراب تلك الشهيرات لأستقرئ صفحات من تاريخهنّ ولأصل إلى وضوح نسبي في سيرتهن الذاتية، وفي إنتاجهن وما خلفنه من آثار.

لقد استضاف هذا الكتاب عدداً منهن حققن مساحات من النجاح ووردن دروباً طال مشوارها وأثبتن إبان مسيرتهن أن الحياة لا تسير على عكاز واحدة ولا تشرب من نهر واحد ولا تثمر بفرع واحد ولا تنهض بساق واحدة هي الحياة، وفيها مشت المرأة إلى جانب الرجل في الساحة الثقافية في مجالات عديدة من حياتنا وتاريخنا».

هذا وقد حفظ الكتاب في طي صفحاته بعضاً من الأسماء وهن عدد من النساء الشهيرات والشاعرات المبدعات كالخنساء وليلى الأخيلية في العصرين الإسلامي والأموي، وعلية بنت المهدي في العصر العباسي، والمحدثة الشاعرة تقية الزمنازية في العصر الأيوبي، وعائشة الباعونية الشاعرة المتصوفة في العصر المملوكي. وفي ربوع الأندلس طالعت الباحثة سليمى أسماء كثيرة من الأديبات والشاعرات ومنهن ولادة بنت الخليفة المستكفي في عصر بني أمية، وحفصة الأركونية في عصر الموحدين من ملوك الطوائف، ونزهون الغرناطية وغيرهن ممن كشفن عن عواطفهن في الحب والحياة.

في الختام

ختمت المؤلفة مقدمة كتابها بكلمة توجهها لقرائها «أرجو أن يكون عملي هذا جهدا متواضعا في أفق الحركة النسائية التي تزينها فراشات في الماضي ويعبق فيها شذا زهرات الياسمين في حاضر الأيام والسنين، وربما أكون قد أضفت شيئاً إلى المكتبة العربية، وأكون قد أنصفت نساء من أمتي التي أفخر بها لغة وسيرة وإبداعاً، فيما يبقى أفق العمل مفتوحاً للإضافات اللاحقة».